زهير مارديني

شباط الدامي

مذكرات شاهد عيان حول إنقلاب 23 شباط 1966 في سورية














منظمة الطليعة العربية في تونس
أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة
لا تراجع بل خطوة الى الامام

منشورات 1989 الطليعة

شُبَّاط الدَّامي

مذكرات شاهد عيان حول إنقلاب 23 شباط 1966 في سورية

زهير مارديني
لندن 1988

معظم الذين رافقوا التجربة البعثية، من الحزبيين وغير الحزبيين، لم يسلجوا مراحل تطور هذه التجربة، ومهما كان الرأي حولها فهي ظاهرة من النادر ان تتكرر. انها بكل سلبياتها وايجابياتها افراز لضمير شعب بعد الجزر الذي اعقب هزيمة ١٩٤٨، تلك الفترة التي وجد الشعب فيها نفسه يهبّ من تحت انقاض تراثه الحضاري ليجاهد الأعداء الذين سببوا هذه الهزيمة، أعداء الداخل، وأعداء الخارج.

لقد تعلم الشعب العربي السوري ان رحلة الحرية يجب أن تبدأ من الداخل، فلأجل أن يتحرر الوطن يجب ان يتحرر المواطن، ومن العبث ان نتصور امكان قيام بلد حر وأهله غير أحرار.

وما ان سمعت الطليعة المثقفة في دمشق صوت الحرية ينبعث من حناجر مؤسسي البعث حتى وقفت في هذا الجانب، وباشرت معهم المعاناة. رافقت هذه الطليعة المحطات الرئيسية التي توقف عندها الاستاذ ميشيل عفلق، ولم يتح لها أن تودعه في آخر محطة توقف عندها في دمشق، لأنها لم تكن معه هناك. وقد مضى على غياب الاستاذ عن دمشق اكثر من ٢١ عاما دون ان يعلم حتى معظم الحزبيين تفاصيل الأحداث الدامية التي جرت بعد غياب الاستاذ.

وتشاء الأقدار أن أُسجل تلك الأحداث، يومئذ، لتكون شاهدا حيا على اول حركة عسكرية عمدت بالدم، واقترنت باسم (اللواء صلاح جديد).

هرعت الى الباب بعدما سمعت الجرس يواصل رنينه بدون توقف.. كانت الساعة تدق الخامسة صباحا، ودخل الصالة مباشرة وارتمى على المقعد ولم يرفع رأسه الا حين أصبحت قبالته آبادره بالكلام وأنا امسح النوم عن عيني:

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

ـ لماذا أرى وجهك مصفراً، ويديك ترتجفان، أتشكو من شيء؟

فهز رأسه نفيا، وقال بصوت ضعيف يخرج من بين شفتيه:

ـ افتح الراديو.. افتح الراديو!

قلت ماذا في الراديو في هذا الصباح؟ وأحسست أن الرجل يتداعى، ولكنه سرعان ما تماسك وهو ينظر اليّ بعينين دامعتين وقال:

ـ افتح الراديو أرجوك.. هكذا أراد الإخوان!

وأدرت مفتاح المذياع على محطة دمشق فاذا بصوت يرتل:

(وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا).

تابع صديقي كلامه، وهو يحدق في الساعة المثبتة على الحائط:

ـ حفظ الله سورية.. هكذا أراد الاخوان.. هذا هو قدر سورية.. الآن ستسمع ما يدهشك! ونهض يذرع الغرفة خطى مضطربة، كما لو أن اعباء ثقيلة القيت على كتفيه، كانت ركبتاه تصطكان فسرعان ما سقط على المقعد. دقت الساعة الخامسة والربع صباحاً، فاذا بالرجل يفقد توازنه ويمسك بذراعي ويهزها وهو يردد:

ـ الآن سيقع انقلاب في دمشق هل فهمت؟ انقلاب يختلف عن الانقلابات التي عاصرتها.. انقلاب تشترك فيه دبابات، وطائرات، ومدفعية.. انقلاب دموي.. رحماك يا دمشق، رحماك.. وانهمرت الدموع من عينيه. لم اسأل صديقي من أين علم نبأ الانقلاب، لقد كان من القلائل الذين يعلمون مسار الأحداث، كما كان واحدا من القياديين العارفين بكل ما يجري في كواليس حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم.

كانت دمشق في ذلك الصباح من ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٦٦ تعيش أجواء مثيرة وصاخبة. دقّت الساعة السادسة فاذا بالمذياع يتوقف، وتنبعث من جوفه أصوات المارشات العسكرية، فالتفت اليّ الرجل وفي عينيه تساؤل ورهبة وقال:

ـ ألم أقل لك.. لقد وقع الانقلاب، واندفع باتجاه النافذة وفتحها فإذا بأصوات الرصاص تسمع بغزارة..

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

توقفت الموسيقى العسكرية، وارتفع من جوف المذياع صوت غريب اللهجة يردد:

ـ هنا دمشق، اذاعة الجمهورية العربية السورية:

يا جماهير شعبنا الكادحة.. أيها الرفاق المناضلون في كل مكان من ارجاء وطننا العربي الكبير. وتلا الصوت الغريبُ اللهجة، البيان الصادر عن القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي، والذي أعلن فيه نبأ قيام الانقلاب العسكري.

عادت الموسيقى العسكرية تعزف، ثم توقفت فجأة ليعلن الصوت نفسه البلاغ رقم (١) الصادر عن القيادة القطرية المؤقتة، والذي منع فيه التجول في كافة انحاء القطر اعتبارا من الساعة السادسة من صباح الاربعاء ٢٢/٢/١٩٦٦ وحتى اشعار آخر، وبعد عدة مارشات عسكرية، اعلن البلاغ رقم (٢) الذي أغلقت بموجبه الحدود والمطارات والموانىء البحرية، ثم توالت البلاغات وكان منها ترقية العقيد احمد سويداني الى رتبة لواء وتعيينه رئيسا للأركان، ومنها بلاغ القاء القبض على الفريق امين الحافظ رئيس الدولة، والدكتور منيف الرزاز، اللواء محمد عمران، الاستاذ منصور الاطرش، والاستاذ صلاح الدين البيطار، والاستاذ شبلي العيسمي. واعلن البلاغ ان جميع المعتقلين سيقدمون الى المحاكمة امام محكمة حزبية خاصة لمحاسبتهم على ما اقترفوه من جرائم بحق الثورة والحزب. وعلى الرغم من أن أحد البلاغات قد أعلن اعتقال الاستاذ ميشيل عفلق، فان ذلك كان من باب التخمين فقط. وراحت البلاغات تتوالى سواء ما تعلق منها بتعليق الدستور المؤقت، أم التي تنظم التموين.

كانت البلاغات تتتابع وصديقي يشير اليّ بيديه بالصمت، حتى اذا عادت الموسيقى العسكرية الى البث رايت يديه تهبطان متدليتين الى جانبه، ثم أخذ يستدير متمهلا، ويتقهقر خطوات، ثم يحدق في وجهي ويقول وعلى شفتيه بسمة حزينة:

أتسمع الرصاص.. اتسمع صوت المدافع.. انهم الرفاق يقتتلون. ماذا سيقول الناس عنّا؟ ماذا سيقول العرب؟ لقد اشبعناهم صياحا بأن

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

الجيش العربي في سورية لن يقاتل الا أعداء الأمة العربية، وها نحن نتذابح! رحماك يا دمشق. ومضى قائلا:

انت تعلم أن جميع الحلول السلمية لم تُجدِ نفعاً، لقد حاولنا تجنب الاصطدام.. ارادوها مضمخة بالدم، دم الرفاق، ترى ماذا يجري الآن بين قطعات الجيش؟ قطنا، الكسوة، الجبهة، اللواء سبعين، أمام دار الفريق الحافظ، أمام الأركان.. قال عباراته هذه وراح يجهش بالبكاء، ثم ما لبث أن نهض ثانية وهو يسحق دموعه بأصابعه، ويدير مفتاح المذياع باتجاه الاذاعات الأجنبية التي بدأت تنقل اصداء النبأ معتمدة على اذاعة دمشق.

كان صديقي القيادي وهو يصغي الى ردود الفعل لدى إذاعات الأجنبية مغرقا في صمته، كانت أصوات القنابل والرصاص تشاركنا وتضفي على الجو نوعا من الرهبة الموحشة.

موسيقى عسكرية، ولهجة غريبة تتعثر بما تضمه البلاغات المتلاحقة من اتهام لعفلق والحافظ وعمران والبيطار بالانحراف عن مبادىء الحزب، وأصوات الرشاشات والمدافع تكاد تصل الى آذاننا مباشرة.. وسألته:

- هل تعتقد ان حزبكم سيؤيد الانقلاب؟

فالتفت اليّ ولم يجب، وتظاهر بأنه لم يسمع السؤال، واردف:

- لا يمكنني التصديق بأن حزبنا سيوافق على ما جرى ويجري. وصمت لحظات ثم اضاف.

- يبدو من لهجة البلاغات انها حركة عسكرية تريد اقصاء قادة الحزب، وتسليم القيادة الى الشباب. فقبل وقوع الانقلاب كان قد عقد اجتماع رسمي للقيادة القومية في مقرها الرسمي، وانضم الى هذا الاجتماع الاستاذ صلاح الدين البيطار، رئيس الوزراء، واللواء محمد عمران، وزير الدفاع، لبحث مواضيع مختلف عليها، منها ما يتعلق بموضوع علاقة الجيش بالحزب والحكم. طرح اقتراح بنقل ضباط من مراكز الى مراكز اخرى، لا تقل أهمية عن الأولى، وذلك بغية التدليل على ان الجيش ملتزم بما تمليه عليه القيادة القومية، وأن ليس له تدخل في

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

شؤون الحكم المدنية. خلال الاجتماع الذي استمر طيلة ساعات النهار وبعض ساعات الليل، تم اتخاذ قرار بالأكثرية، يقضي بنقل الضباط الآتية اسماؤهم: احمد سويداني، عزت جديد، سليم حاطوم، حسين ملحم، عبد الغني برو.

وفي نهاية الاجتماع، وعند ساعات الليل، قام الدكتو منيف الرزاز، أمين عام الحزب آنذاك، بالطلب الى وزير الدفاع والى رئيس الأركان العامة، وبناء على رغبة الاستاذ صلاح الدين البيطار وآخرين من رفاقه، بالعودة عن قرار استنفار الجيش، وهو القرار الذي كان قد اتخذه الدكتور منيف الرزاز، في ساعات الصباح، وقبل انعقاد الاجتماع المشار اليه، وأبلغه الى وزير الدفاع محمد عمران، الذي كان بدوره قد طلب من رئيس الأركان اللواء «محمد شنيوي» تنفيذه. علماً ان الاستاذ صلاح الدين البيطار أراد من طلب العودة عن الاستنفار منع اراقة الدماء، وعدم تنفيذ اي قرار بالقوة.

ومن الجدير بالذكر ان الفريق امين الحافظ (رئيس الدولة)، واللواء صلاح جديد واللواء حافظ الاسد، قد حضروا هذا الاجتماع بصفتهم اعضاء في القيادة القومية.

قال صديقي القيادي البعثي عباراته هذه وأخذ يعضّ على الكلمات ويقول:

– لا افهم شيئا.. آكاد لا أصدق ما يجري.. ثم اولاني ظهره وأطل من الشرفة ووضع يديه على حاجزها بكل قوة، وما أن سمع أزيز الرصاص يقترب من اذنيه حتى عاد الى مقعده مستأنفاً حديثه.

هل تعلم ماذا جرى بعد حفلة (تبويس الشوارب) في قصر الضيافة؟ لقد ذهب المقدم سليم حاطوم الى مقره في حرستا ليستنفر قواته، أما الضباط الذين يمتون بالولاء الى القيادة القومية فقد ذهبوا الى دورهم بعد ان بلغت الساعة الثانية ظهرا. ذهب موسى الزعبي الى فراشه بدلا من أن يذهب الى لوائه – لواء الصواريخ – ولم يعرف احد أين ذهب آمر الشرطة العسكرية العقيد حسين ملحم وبقية ضباط اللواء سبعين: علي مصطفى، ومصطفى عمران، وبقي اللواء حافظ الأسد في مكتبه يعمل جاهدا لإبعاد

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

الجيش عن الصدام، كان يريد تحييد الجيش، ولكن امكاناته في تلك الساعة لم تمكنه من ضبط الموقف وان كانت قد ساعدت الى حد بعيد في حصر الصدام في أضيق الحدود. أما أعضاء القيادة القومية فقد ذهبوا الى مقرهم وراحوا يتدارسون الموقف.. لقد أجمعوا على أن الأمر لا يتعدى التهديد باستعمال السلاح، وان العسكريين هم، اولا وأخيرا، من الحزب ولن تبلغ بهم الأمور حدود الإصطدام برفاقهم.

كان صاحبي يتكلم واطلاق النار يشتد شيئا فشيئا. أما سكان دمشق فكانوا في تلك الساعات لا يعلمون حقيقة ما يجري حولهم، لقد عرفوا ان المعركة تدور في حي (ابي رمانة)، حي القصور الراقد على اقدام جبل قاسيون، والملئ بدور السفارات العربية والأجنبية، ودور كبار الشخصيات الحزبية الحاكمة، ودارة الفريق امين الحافظ رئيس الدولة، وقصر الضيافة. لقد تراكض الناس نحو النوافذ وسدوا الأبواب بأجسامهم، متسائلين باستغراب: أوليس هذا رصاصاً حقيقياً ما يسمعونه يدوي من بعيد وقريب؟

كان الخوف من الموت يلف مدينة دمشق بعد اذان الصبح مباشرة، فما تكاد تلمح العين في الشوارع المتفرعة عن حي أبي رمانة انساناً لم يتملكه الهلع ويسارع الى الفرار، وتساقطت جثث الجنود على قارعة الطريق العام.. جثث المهاجمين والمدافعين معا من أفواج (المغاوير، ورجال العشائر) ونهض السفير اليوغوسلافي من فراشه وأمسك بآلة التصوير وراح يلتقط صور بعض الأطراف من الأيدي والأرجل التي كانت تتناثر على النوافذ وقارعة الطريق. وجرت الدماء بشكل غزير، وقد إمتزج كل هذا بالبكاء والعويل الصادر عن النساء والأطفال. وكان ذنب العائلات التي دبّ فيها الرعب أنها تقطن في هذا الحي.. الهبت الرصاصات رأس فتاة جاءت من الكويت لتضع في دمشق، وضعت طفلها يوم الاثنين، وفي صباح الاربعاء وصلتها الرصاصة الطائشة التي مزقت رأسها فارتمت على طفلها تحمية فاذا بالرصاص الطائش يأتي عليها وعلى طفلها. أوقفت احدى الرصاصات قلب مريض في مستشفى السادات القريب من قصر الضيافة وسكت قلب مريض آخر حين شاهد الجنود

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

يقتحمون المستشفى ليتمركزوا فيه ويطلقوا من نوافذه النار على قصر الضيافة. وبقرت رصاصة رأس فتاة صغيرة سحبت البراد باتجاه النافذة لتدفع عن اخواتها زائر الموت، ولم يكن في الشارع سوى الجنود يقتتلون.

بدأ اطلاق النار في الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة، وانتهى في الساعة العاشرة وخمس دقائق من صباح الاربعاء المجنون.

في ذلك الصباح كان عشرات من السيّاح الأجانب الذين أغراهم ماء دمشق وخضرتها، فاذا بالرصاص يزورهم على غير ميعاد، وكان بينهم شخصيات مرموقة في أوطانها، فما ان وصلوا الى خارج الحدود بعد مكوثهم في فنادقهم ثلاثة ايام حتى بدأوا يتحدثون عن مشاهداتهم. وقيلت روايات كثيرة عن حركة ٢٢ شباط (فبراير). ولعب الخيال والمعلومات الخاطئة والشائعات دورها، فإذا بالحقيقة تضيع وسط هذا كله. واذا كان من العسير في تلك الأيام ذكر ما حصل، فان فترة من الزمن كافية للاقتراب من هذه الحقيقة وذكر بعضها في الأقل.

ثلاثة ضباط رئيسيين كانوا رأس الحربة في ذلك اليوم:

(المقدم سليم حاطوم، الرائد سليم حسن، الرائد عزة جديد).

في الساعة الخامسة والنصف من صباح الاربعاء وصل الى مبنى الأركان العامة رتل من الدبابات الزاحفة من منطقة القابون التي تبعد عن دمشق مسافة خمسة كيلومترات فقط، يتقدمها العقيد احمد سويداني بسيارته المارسيدس السوداء، وكان هناك، وعلى مسافة عشرات الأمتار مركز تجمع القطع المدرعة المكلفة بحراسة الأركان فلم تتحرك من مكانها، لا سيما انها رأت ضابطاً كبير الرتبة يدخل المبنى وحده، ثم يتبعه عدد قليل من الجنود وقفوا أمام الباب الرئيسي.

دخل سويداني على اللواء محمد عمران وكان في مكتبه ساهراً حتى الصباح، لم يعلم أحد ماذا جرى في هذا اللقاء الذي استمر قرابة ساعة كانت خلالها أقداح الشاي تدخل ملآنة وتخرج فارغة، ثم خرج الضابطان عمران والسويداني، ركب اللواء عمران سيارته المارسيدس الرمادية التي تحركت باتجاه دمشق تتبعها ثلاث سيارات مصفحة.

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

وعـرف بعـدها ان اللواء عمران قد وضع في معسكرات القابون تحت الحراسة. وبقي احمد سويداني في مبنى الأركان العامة.

بعد ان ابتعدت سيارة عمران قليلا عن مبنى الأركان وصل الى ساحة الأمويين المقدم سليم حاطوم على رأس قوة من المغاوير التابعة له، واحتل مبنى الاذاعة والتلفزيون بلا مقاومة، ووزع رجاله على المداخل الرئيسية. واحتـل المـدني الوحيـد الذي رافقـه غرفـة المذيع وبدأ يذيع بلاغات الانقلاب. لقد كان هذا المدني هو السيد عيد العشاوي) وزير الداخلية في ما بعد

ولم يكن المقدم حاطوم غريبا عن مبنى التلفزيون، لقد سبق له ان احتـل هذا المبنى صبيحة الثامن من آذار (مارس)، ثم عاد مرة ثانية فاحتله صبيحة الثامن عشر من شهر تموز (يوليو)، وها هو اليوم يأتي للمرة الثالثة فيحتله، والفرق بين هذا الاحتلال والاحتلالين السابقين ان عملية الاحتلال الأخيرة تمت بهدوء وسلام، اذ لم يكن في المبنى سوى عدد قليل من رجال الشرطة المدنية، فما أن شاهدوه على رأس قواته حتى ادوا له التحية العسكرية.

وبينمـا كان سويـداني يحتـل مبنى الأركان، وحاطوم يحتل مبنى التلفزيون كانت بضعة مفارز من المغاوير تحتل قلب دمشق ابتداء من ساحة المرجة حتى بناء الهاتف الآلي.

أما مبنى الشرطة العسكرية، فقد ظل هادئاً طيلة ساعات الصباح، لقد وصلت الى هناك مفرزة دبابات وتمركزت في داخله، فقد اختار آمر الشرطة العسكرية العقيد حسين ملحم الأمان على الرغم من كونه من أبرز العناصر التي يعتمد عليها الفريق امين الحافظ، فتحت امرته لواء كامل من شرطة الجيش اضافة الى رتل من الدبابات والمصفحات وناقلات الجنود، ولكن كل هذه القوى تجمدت مكانها، حين عرف ان العقيد ملحم ذهب الى منزله لينام.

كانت المعركة الحقيقية في شارع ابي رمانة، وأمام منزل الفريق حافظ الاسد الكائن في منتصف الشارع، وأمام قصر الضيافة الذي يقع في أول الشارع.

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

في الساعة الرابعة والنصف من صباح الاربعاء كانت كتيبة من المغاوير بقيادة الرائد سهيل حسن مساعد سليم حاطوم تخرج من معسكر حرستا الذي يبعد بضعة كيلومترات شمال شرقي دمشق، والكائن في قلب غوطتها تتجه بسياراتها المصفحة الى شارع بغداد. لقد كانت مهمة هذه السرية احتلال قصر الضيافة ومنزل الفريق الحافظ رئيس الدولة. وفي الوقت نفسه كانت كتيبة دبابات تتجه، ايضا، خلف هذه القوة من معسكر القابون الذي يبعد ايضا بضعة كيلومترات شرقي دمشق، وكانت مهمة هذه الكتيبة المدرعة مساندة قوة المغاوير في مهمتها.

وصلت كتيبة المغاوير الى مبنى المصرف المركزي في آخر شارع بغداد (مفرق السبع بحرات) وهناك توقفت قليلاً. ذهب نصفها في الطريق المؤدي الى قصر الضيافة. والنصف الآخر اتجه الى الشارع المؤدي الى منزل الفريق الحافظ. وهذا الشارع (الروضة) يقطع شارع ابي رمانة الرئيسي الى نصفين، وصلت نصف السرية الى قصر الضيافة قبل النصف الآخر بدقائق معدودة، ومن هنا كان اطلاق النار امام قصر الضيافة منبها للحرس في منزل الفريق الحافظ. وكانت مهمة حرس قصر الضيافة المقاومة، وتخفيف الضغط على حرس منزل الفريق.

وصل الضابط الذي يقود جنود المغاوير التابعين لسليم حاطوم الى قصر الضيافة، وكان الرتل مؤلفا من ٤٠ جنديا، ترجل الضابط من سيارته وخاطب حرس قصر الضيافة بقوله:

ـ سلموا سلاحكم حالاً، والا سأضطر الى اطلاق النار، ولم يكمل الضابط كلامه حتى انهال عليه الرصاص فقتل من جنوده ٣٧ دفعة واحدة، ولم ينج من هذا الرتل سوى ملازم ثان، ورقيب، وجندي واحد سرعان ما فارق الحياة نتيجة رصاصة طائشة. كان في قصر الضيافة ما يقرب من خمسين جنديا، وكانت قيادتهم تابعة لحرس الفريق، ومعظمهم من رجال العشائر المدربين على حرب الصحراء، وما أن رأى الرتل الآخر ما حل بالرتل الذي يتقدمه حتى توقف قبل مبنى القصر بأمتار قليلة، ودخل بعض المنازل وأخذ يتبادل النيران مع حرس قصر الضيافة، وتساقط القتلى من الجانبين، وكانت حصة القتلى من المهاجمين تفوق

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

حصة المحاصرين داخل القصر.

ظل اطلاق الرصاص بين الجانبين مستمرا قرابة الساعتين، ولم تستطع القوة المهاجمة مساندة القوة التي طوقت منزل الفريق، فظلت وحدها تاركة نصف كتيبة المغاوير تذهب الى منزل الفريق لتدخل المعركة ضد حرس المنزل. في هذه الأثناء وصلت القوة المؤلفة من مائتي مغوار الى منزل الفريق حوالي الساعة السادسة الا ربعاً، فما ان وصلت الى مشارف المنزل حتى انهالت عليها النيران كالمطر فسقط نصفها في الهجوم الأول، وحدث بعد بداية المعركة بنصف ساعة أن سقطت قنبلة يدوية على الغرفة التي ينام فيها أولاد الفريق الستة، فاذا بالفريق الحافظ الذي قاد معركة منزله بنفسه يأمر حراسه بمرافقة زوجته والأولاد الى أقرب مستشفى على أن يستعملوا الباب الخلفي. لقد رأى الفريق ابنه (بشار) يصاب بشظية في كتفه الأيمن، ورأى ابنته (شذى) تصاب في عينها، فلم يتحمل رؤية أولاده على هذا الوضع فأمر بإخراجهم. وشاهد الجوار ثلاث نساء، وعدداً من الأولاد يخرجون من الباب الخلفي للمنزل ويتجهون الى الصالحية ويدخلون المستشفى الايطالي.

بعد أن اطمأن الفريق الى سلامة عائلته نزل الى الطابق السفلي وكان يرتدي بنطالا وقميصا ويضع على رأسه شالا مخططاً بالأحمر، وهو الشال الذي يستعمله حرس البادية في الجيش السوري، وأخذ يرمي المهاجمين برصاص مسدسه. كانت الأصوات تتعالى من الجانبين، وظلت المعركة محتدمة من الساعة السادسة إلا خمس عشرة دقيقة حين وصلت القوة المدرعة التي خرجت من القابون بقيادة (عزة جديد) وأطلقت الدبابة الأولى أولى طلقاتها على الغرفة العليا التي ينام فيها الفريق فخرقتها، وانهالت القنابل المحرقة على المنزل من اطرافه. عندها لم يعد للبندقية والمسدس والرشيش أي مفعول فتوقف اطلاق النار من داخل المنزل، وشوهد الفريق أمين الحافظ حوالي الساعة السادسة والنصف يخرج من منزله وهو يرتدي البنطال الخاكي والشال المخطط بالاحمر وبيده مسدس ومعه ١٢ جنديا فقط بلا أسلحة، وما أن وصل الى تجاه الدبابة التي كانت تطلق النار، حتى سلم مسدسه الى الضابط، وصعد الى الدبابة التي اقلته

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

الى معسكر القابون. على هذا النحو سقط منزل الفريق بأيدي المهاجمين، كما سقط بدوره قصر الضيافة بعد وصول المدرعات بدقائق معدودة.

قيل يومئذ ان عدد الجنود الذين سقطوا في هاتين المعركتين قد تجاوز المائتي جندي بينهم ٢٠ ضابطاً، اما عدد الجرحى فقد قدر بثلاثمائة مات منهم ثمانون على اقل تقدير في المستشفى العسكري.

في الوقت الذي كان فيه مذيع راديو دمشق يردد بأن الاساتذة: عفلق والبيطار، والرزاز، والحافظ، ومنصور الاطرش قد القي القبض عليهم، كان الناس يعلمون عن طريق الشائعات بأن اللذين قبض عليهما هما الحافظ وعمران، اما الباقون فقد ظلوا في منازلهم تحت الحراسة، وفي يوم الجمعة جاء من يريد القبض عليهم فلم يجدوا أحداً، لقد استطاع عفلق والرزاز النجاة بفضل احد اصدقاء عفلق من غير الحزبيين، اما الاطرش والعيسمي فقد استطاعا الهرب، في حين ان البيطار اختفى منذ صباح يوم الانقلاب.

ظل سكان دمشق في منازلهم طيلة يوم الأربعاء، ومنذ ان سكت صوت الرصاص والسكون يطوق دمشق، ولم يكن يقطع هذا السكون سوى صفير سيارات الاسعاف، وهدير محركات آليات الجيش التي كانت وحدها في الشوارع، وكان السؤال الذي يبحث عن جواب يتلخص بعدة تساؤلات:

- لماذا بقي الحافظ وحده في المعركة؟

أين ذهب أنصاره من الضباط؟

لقد سبق لبعض اصدقاء الحافظ من الضباط الكبار ان نصحوه بوضع رتل من الدبابات عند مداخل دمشق وأمام قصره، ورفض الحافظ هذه النصائح قائلا: ان دمشق مطوقة بمدفعية ثقيلة موضوعة في جبل قاسيون، فاذا حدث واشتبكت القوات المدرعة ببعضها فلن تنقذ دمشق من التدمير.

اما اللواء السبعون الذي يطوق دمشق فقد تم الاستيلاء عليه من غير ما مقاومة، كما تم الاستيلاء على اللواء الخامس المتمركز في المنطقة الوسطى كذلك.

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

جرت عدة معارك صغيرة في بعض المناطق السورية سرعان ما اخمدت وتحركت القيادة الجديدة باتجاه تنظيم نفسها.

بعد ان تمت السيطرة على الموقف العسكري اتجه قادة الانقلاب الى القوة السياسية، فكان أن اعيدت القيادة القطرية السابقة بكامل اعضائها الخمسة عشر (٧ عسكريين و ٨ مدنيين باستثناء الفريق امين الحافظ، وحسام حيزة)، وانتخب اللواء (صلاح جديد) نائب الامين القطري السابق امينا قطريا، وكانت الخطوة الاولى صدور قرار من القيادة القطرية بتسمية الدكتور نور الدين الاتاسي رئيسا للدولة، وتسمية الدكتور يوسف زعين رئيسا للوزراء. وفي يوم الجمعة، وحوالي الساعة الحادية عشرة سمح بالتجول، وخرج الناس الى الشوارع يتفقد بعضهم بعضا.

بهذه الخطوة طويت صفحة البعث القديم، وفتحت صفحة البعث الجديد. وكانت أولى صفحات تاريخ هذه المرحلة تكليف الدكتور يوسف زعين بتأليف الوزارة من قبل امين الحزب القطري الجديد (اللواء صلاح جديد). اول مفاجأة أطل منها الدكتور يوسف زعين هي اتصاله بالشيوعيين، قائلا لهم:

- رشحوا اثنين منكم لنختار منهما وزيراً.

رشحت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المهندس مراد القوتلي، وقدمت ثلاثة اسماء لاختيار وزير منها. فاذا بيوسف زعين يختار احد الذين لم ترد اسماؤهم في لائحة الترشيح، فاختار السيد سميح عطية الذي سبق له ان مثل الحزب الشيوعي السوري في المجلس الوطني الاول، ثم الثاني. وتوالت المفاجآت ومنها قيام زعين باستشارة رفاق الاستاذ اكرم الحوراني المقربين، فاتصل بالاستاذ عبد البرّ عيون السود الذي كان يرافق الحوراني في زيارته لاسبانيا، فتركه في لشبونة وعاد الى دمشق ظهر الثلاثاء، وفي يوم الاحد جرى الاتصال معه ومع السيد عبد الغني قنوت احد الضباط السابقين المقربين من الحوراني، فكان جوابهما متشابها. فقد كان جواب عبد البرّ وقنوت:

- اذا كنتم جادين في اقامة حكم يساري فنحن سنشارك في حكومة

منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

تجمع وطني. ولما قيل لهما بأن الجو لا يسمح، وعدا بأن يكونا مع رفاقهم من قيادة حزب أكرم الحوراني (الاشتراكي) في ضفة الايجابية.

وجاءت المفاجأة الثالثة حين اتصل زعين بالضابط السابق احمد عبد الكريم الذي لعب ادواراً متباينة في عهد الوحدة المصرية السورية، فعين وزيرا في اول وزارة ألفت في ظلّ الجمهورية العربية المتحدة، ثم استقال منتقلا الى ضفة المناوئين للوحدة. قال احمد عبد الكريم ليوسف زعين:

اذا عزمت على تأليف حكم وطني فان هذا الوضع يتطلب اقامة وضع عسكري سليم واقامة مثل هذا الوضع السليم تتطلب إعادة الضباط المسرحين خلال الوحدة، والانفصال، وعهد الثامن من آذار، فكان جواب زعيّن الصمت. وانسحب عبد الكريم من الاستشارات بتصريح اعلن فيه انه مع العهد الجديد اذا اتجه إتجاهاً تقدمياً ديمقراطياً.

الف الدكتور يوسف زعيّن الوزارة من تسعة عشر وزيرا بينهم اثنا عشر شخصية من اعضاء القيادة القطرية او من الموالين لها.

هذا هو الحل السياسي الذي نفذه اللواء صلاح جديد بعد ان سيطر على الجيش، ولكن سرعان ما تفاقمت الأحداث من جديد، فاذا بهذا الحل السياسي العسكري يسقط في أواخر عام ١٩٧٠.



منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس